القـرآن والأذكـار

□ القرآن والأذكار □

أعذب مورد وردته عطاش القلوب ، موردُ الذكر والتوحيد ، وأطيبُ نسيم هب على مشامّ القلوب ، نسيمُ الأنس بالله عز وجل .

التلذذ بحلاوة مناجاة الله كؤوس رحيق الأرواح ، وذكر الله جلاء رمد العقول ، ودرر حمد الله ، لا يُرصَّعُ بها إلا تيجانُ مفارق الأسرارِ ، ومسكُ شكره لا يَعبق إلا في جيوب ثياب الأرواح ، وَوِرْدُ الثناء عليه لا يَطْلع إلا على شجر ألسن عباده المؤمنين .

إن ذكرت ربك بألسن حسن صنْعه ، فتح أقفال قلبك ، وإن ذكرته بألسن لطائف أسرار أمره ، فأنت ذاكر على الحقيقة ، وإن ذكرته بقلبك قرَّبَك من جنات رحمته ، وإن ذكرته بسرك ، أدناك من مواطن القدس ، وإن صدقت في حبه حملك بجناح لطفه إلى مقعد صدق .

ما عرف قدر جلاله من فتر لحظة عن ذكره ..

قال ذو النون : ما طابت الدنيا إلا بذكره ، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ، ولا طابت الجنة إلا برؤيته .

أبـدًا .. نفـوس الطالبيــ ـن إلى رياضكم تحـنُّ
وكذا القلوب بذكركـمْ بعـد المخافـة تطمئــنُّ
حنت بذكركم ... ومنْ يهوى الحبيب ولا يحنُّ؟!

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا : مجنون »(١) .

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقي ، قال المناوي في فيض القدير (٨٥/٢) : رمز المصنف لصحته ، وهو فيه تابع لتصحيح الحاكم له ، وقد اقتصر الحافظ ابن حجر في أماليه على كونه حسنًا، وقال الهيثمي بعد ما عزاه لأحمد وأبي يعلى: فيه « دراج » ضعفه جمع ، وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات .

كان أبو مسلم الخولاني كثير الذكر ، فرآه بعض الناس فأنكر حاله ، فقال لأصحابه : أمجنون صاحبكم ؟ فسمعه أبو مسلم فقال : لا يا أخي ، ولكن هذا دواء الجنون .

وقدْ شرطتُ على قومٍ صحبتُهُمُ   لأنَّ قلْبي لكمْ من دونه غرضُ
ومن حديثي بكم قالوا : به مرضٌ   فقلتُ: لا أذهب الله عني ذلك المرض

هو في شغل عن الناس بذكر ربه .

وشُغلت عن فهم الحديث سوى   ما كانَ عنكَ فإنه شُغْلي
وأديمُ نحوَ محدّثي وجهي ليَرى   أنْ قد عقلتُ وعندكمْ عقلي

فكيف يكون الجزاء من جنس العمل .. ؟.

قال تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

قال الحسن البصري وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس : إن الله يذكر من ذكره ، ويزيد من شكره ، ويعذر من كفره .

وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾ ﴿ **فاذكروني** ﴾ فيما افترضت عليكم ، ﴿ **أذكركم** ﴾ فيما أوجبت لكم على نفسي .

وعن سعيد بن جبير : ﴿ **فاذكروني** ﴾ بطاعتي ﴿ **أذكركم** ﴾ بمغفرتي ورحمتي .

وعن ابن عباس قال : ذكر الله إياكم ، أكبر من ذكركم إياه(١) .

ليس العجب من فقير يلجأ إلى غني ، ليس العجب من ضعيف يلجأ إلى قوي ، ليس العجب من قوله تعالى : ﴿ **فاذكروني**﴾ إنما العجب من قوله تعالى : ﴿ **أذكركم** ﴾ !! .

من نحن حتى يذكرنا الله عز وجل إن ذكرناه ...؟! .

إن ألستنا لتحتاج إلى ملايين المرات من الطهارة والتوبة ، حتى تنطق

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٨٢/١-٢٨٣) .

باسم الله فضلًا أن يذكرنا ربنا ومولانا ..

وما ذكرتكمُ إلا نسيتكـمُ نسيان إجلال لا نسيان إهمالِ
إذا تذكرت من أنتم وكيف أنا أجللت مثلكم يخطر على بالي[(١)]

يقول يحيى بن معاذ : يا غفول يا جهول ، لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ ، وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك ، لَمُت شوقًا إلى مولاك .

﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ والجزاء من جنس العمل .

يا هذا حفر النهر إليك، وإجراء الماء ليس عليك، أحضر ساقية ﴿**فاذكروني**﴾ إلى جنب بحر ﴿ **أذكركم** ﴾ ، فإذا بالغ فيها معول الكد ، فاضت عليك مياه البحر ، « فبي يسمع وبي يبصر » ، ألق بذر الفكر في أرض الخلوة ، واسق إليه ساقية من ماء الفكر ، لعلها تنبت لك شجرة « أنا جليس من ذكرني »[(٢)] .

قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم يذكرون الله ، إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »[(٣)] .

وقال ﷺ : « ما من قوم يذكرون الله ، إلا حفت بهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : عبدي ، أنا عند ظنك بي ، وأنا معك إذا ذكرتني »[(٥)] .

---

(١) جامع العلوم والحكم ٤١٩. (٢) المدهش لابن الجوزي ٢٣٧ .

(٣) رواه ابن حبان عن أبي سعيد وأبي هريرة معًا ، ورواه مسلم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٤٨٤ .

(٤) رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة وأبي سعيد ، ورواه مسلم عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٦٢٤ .

(٥) رواه الحاكم عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٢٠١ ، والسلسلة الصحيحة رقم ٢٠١٢ .

وقال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : يابن آدم ، إن ذكرتني في نفسك ، ذكرتك في نفسي وإن ذكرتني في ملأ ، ذكرتك في ملإٍ خير منهم ، وإن دنوت مني شبرًا ، دنوت منك ذراعًا ، وإن دنوت مني ذراعًا ، دنوت منك باعًا ، وإن أتيتني تمشي ، أتيت إليك أهرول »(١) .

وقال ﷺ : « قال الله تعالى : عبدي ، إذا ذكرتني خاليًا ، ذكرتك خاليًا ، وإن ذكرتني في ملإٍ ، ذكرتك في ملإٍ خير منهم وأكبر »(٢).

وقال ﷺ : « أوصيك بتقوى الله تعالى ، فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، فإن روحك في السماء ، وذكرك في الأرض »(٣) .

انظر إلى كرم الله الجواد ، الذي علا على كل من جاد ، وبه جاد كل من جاد .

قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : لا يذكرني عبد في نفسه ، إلا ذكرته في ملإٍ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى»(٤).

فاذكروني أذكركم ، والجزاء من جنس العمل .

ياللتفضل الجليل الودود !! الله جل جلاله ، يجعل ذكره لهؤلاء العبيد مُكافئًا لذكرهم له ، في عالمهم الصغير ، إن العبيد حين يذكرون ربهم ، يذكرونه في هذه الأرض الصغيرة ، وهم أصغر من أرضهم الصغيرة !! والله حين يذكرهم ، يذكرهم في هذا الكون الكبير ، وهو الله العلي الكبير ، أي تفضل ! وأي كرم !

---

(١) رواه أحمد عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٢١٣ .

(٢) رواه البيهقي عن ابن عباس ، ورواه البزار وأحمد عن أنس ، والبخاري ومسلم عن أبي هريرة ، صحيح الجامع ٤٢٠٠ والصحيحة ١٠١١ .

(٣) رواه أحمد عن أبي سعيد ، وحسنه الألباني ، الروض النضير (٣٧٢/٢) ، والسلسلة الصحيحة ٥٥٥ ، صحيح الجامع ٢٥٤٠ .

(٤) رواه الطبراني عن معاذ ، وعن أنس ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٤٢١١ .

وأي فيض في السماحة والجود !.

« فاذكروني أذكركم » إنه الفضل الذي لا يفيضه إلا الله ، الذي لا خازن لخزائنه ، ولا حاسب لعطاياه .. الفضل الفائض من ذاته بلا سبب ولا موجب ، إلا أنه هكذا هو سبحانه ، فيّاض العطاء .

إنه ذلك الفضل الذي لا يصفه لفظ ، ولا يعبر عن شكره إلا سجود القلب .

من نسيه الله فهو مغمور ضائع ، لا ذكر له في الأرض ، ولا ذكر له في الملأ الأعلى . ومن ذكر الله ، ذكره ، ورفع من وجوده ، وذكره في هذا الكون العريض .

لقد ذكر المسلمون الله فذكرهم ، ورفع ذكرهم ومكنهم من القيادة الراشدة ، ثم نسوه فنسيهم فإذا هم همل ضائع ، وذيل تافه ذليل ، والوسيلة قائمة ، والله يدعوهم في قرآنه الكريم ، فاذكروني أذكركم[1] .

وكنا عِظامًا فصرنا عظامًا   وكنا نقوت فها نحن قوتُ

« فاذكروني أذكركم » ..

« فاذكروني » بالتذلل « أذكركم » بالتفضل .

« فاذكروني » بالانكسار « أذكركم » بالمبار .

« فاذكروني » باللسان « أذكركم » بالجنان .

« فاذكروني » بقلوبكم « أذكركم » بتحقيق مطلوبكم .

« فاذكروني » على الباب من حيث الخدمة « أذكركم » بالإيجاب على بساط القربة بإكمال النعمة .

« فاذكروني » بتصفية السر « أذكركم » بتوفية البر .

« فاذكروني » بالجهد والعناء « أذكركم » بالجود والعطاء .

« فاذكروني » بوصف السلامة « أذكركم » يوم القيامة ، يوم لا تنفع الندامة .

---

(١) الظلال (١/١٤٠-١٤١) .

« فاذكروني » بالرهبة « أذكركم » بتحقيق الرغبة[1] .

« فاذكروني .. أذكركم » .

« فاذكروني » بالشوق والمحبة « أذكركم » بالوصل والقربة .

« فاذكروني » بالحمد والثناء « أذكركم » بالمنن والعطاء .

« فاذكروني » بالتوبة « أذكركم » بغفران الحوبة .

« فاذكروني » بالسؤال « أذكركم » بالنوال .

« فاذكروني » بلا غفلة « أذكركم » بلا مهلة .

« فاذكروني » بالندم « أذكركم » بالكرم .

« فاذكروني » بالمعذرة « أذكركم » بالمغفرة .

« فاذكروني » بالإرادة « أذكركم » بالإفادة .

« فاذكروني » بالتنصل « أذكركم » بالتفضل .

« فاذكروني » بالإخلاص « أذكركم » بالخلاص .

« فاذكروني » بالقلوب « أذكركم » بكشف الكروب .

« فاذكروني » باللسان « أذكركم » بالأمان .

« فاذكروني » بالافتقار « أذكركم » بالاقتدار .

« فاذكروني » بالاعتذار والاستغفار « أذكركم » بالرحمة والاغتفار .

« فاذكروني » بالإيمان « أذكركم » بالجنان .

« فاذكروني » بالإسلام « أذكركم » بالإكرام .

« فاذكروني » بالقلب « أذكركم » برفع الحجب .

« فاذكروني » ذكرًا فانيًا « أذكركم » ذكرًا باقيًا .

« فاذكروني » بالابتهال « أذكركم » بالاتصال .

« فاذكروني » بالتذلل « أذكركم » بعفو الذلل .

« فاذكروني » بالاعتراف « أذكركم » بمحو الاقتراف .

---

(١) لطائف الإشارات (١٣٨/١) .

« فاذكروني » بصفاء السر « أذكركم » بخالص البر .
« فاذكروني » بالصدق « أذكركم » بالرفق .
« فاذكروني » بالصفو « أذكركم » بالعفو .
« فاذكروني » بالتعظيم « أذكركم » بالتكريم .
« فاذكروني » بالتكثير « أذكركم » بالنجاة من السعير .
« فاذكروني » بترك الجفاء « أذكركم » بحفظ الوفاء .
« فاذكروني » بترك الخطاء « أذكركم » بأنواع العطاء .
« فاذكروني » بالجهد في الخدمة « أذكركم » بإتمام النعمة .
« فاذكروني » من حيث أنتم « أذكركم » من حيث أنا .
ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون .
هذا طعم الخبر .. فكيف طعم النظر ..؟! .
هذا سماع ذكره في دار الشقاء .. فكيف عند اللقاء ..؟! .
هذا في دار المحنة .. فكيف في دار النعمة ..؟! .
هذا وأنت على الباب .. فكيف إذا كشف الحجاب ..؟! .
هذا وقد ناديت .. فكيف إذا تجليت ..؟! .

يامن يذكِّرني بعهد أحبَّتي ... طابَ الحديثُ بذكرهمْ ويطيبُ
أعدِ الحديث عليّ من جَنَبَاتِهِ ... إنَّ الحديث عن الحبيبِ حبيبُ
ملأ الضلوع وفاضَ عن أجنابها ... قلبٌ إذا ذُكِرَ الحبيب يذوبُ
ما زال يخفق ضاربًا بجناحه ... ياليت شعري، هل تطير قلوبُ؟!

سبحانك .. سبحانك « ارتفع إليك ثغاء التسبيح ، وصعد إليك وقار التقديس، سبحانك ذا الجبروت، بيدك الملك والملكوت، والمفاتيح والمقادير »(١).

وملأتُ كلي منك حتى لم أدعْ ... مني مكانًا خاليًا لسواكَ
والقلب فيكَ هيامه وغرامه ... والروح لا تنفك عن ذكراكَ

---
(١) مختصر العلو ص١٢٩ .

أو كما يقول :

لا عضو لي إلا وفيه صبابة فكأن أعضائي خُلِقْنَ قلوبَا

* * *

ولو مضى الكل مني لم يكن عجبًا وإنما عجبي للبعض كيف بقي ؟!!

أمر الحجاج بصلب ماهان العابد ، فرفع على خشبة وهو يسبح ويهلل ويعقد بيده ، حتى بلغ تسعًا وعشرين ، فبقي شهرًا بعد موته ، ويده على ذلك العقد مضمومة .

لتحشرنَّ عظامي بعدما بليت يوم الحساب وفيها حبكمْ عَلِقَ

كان خالد بن معدان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات وضع على سريره ليغسل، فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح[١].

وقيل لعمير بن هاني : ما نرى لسانك يفتر ، فكم تسبح كل يوم ؟ قال : مائة ألف تسبيحة إلا أن تخطيء الأصابع .

وقال عبد العزيز بن أبي رواد : كانت عندنا امرأة بمكة تسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة فماتت ، فلما بلغت القبر اختلست من أيدي الرجال[٢].

يا ويح أنفسنا ، أين نحن من هؤلاء ؟! نستكثر تسبيحنا .. واعجبًا لنا .. نعد التسبيح بسبحة ؟ فهلا جعلنا لعد المعاصي أخرى ..

وتمضي رحلتنا مع الجزاء من جنس العمل ..

قال رسول الله ﷺ : « اقرءوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ، اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيانِ يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان[٣]، أو كأنهما فرقان من طير صوافّ ، يحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة »[٤].

---

(١) لهذه القصة إسناد منقطع في سير أعلام النبلاء (٥٤٠/٤) ، وهي في الحلية (٢١٠/٥)، وابن عساكر (٢٦٠/٥) بطريق أخرى .

(٢) جامع العلوم والحكم ٤١٧ .

(٣) الغيابة كل شيء يظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها « نهاية » .

(٤) رواه أحمد ومسلم عن أبي أمامة .

انظر كيف يبدو الجزاء من جنس العمل واضحًا جليًّا في هذا الحديث .

قال المناوي : « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه » أي : شافعًا بأن يتصور بصورة يراها الناس ، كما يجعل الله لأعمال العباد صورة ووزنًا لتوضع في الميزان ، فليعتقد المؤمن هذا وشبهه بإيمانه ؛ لأنه لا مجال للعقل فيه .

« الزهراوين » أي : النيرتين ، سميتا به ؛ لكثرة نور الأحكام الشرعية ، وكثرة أسماء الله تعالى فيهما ، أو لهدايتهما قارئهما ، أو لما يكون له من النور بسببهما يوم القيامة .

«والزهراوين» تثنية الزهراء، تأنيث أزهر، وهو المضيء الشديد الضوء(١).

وانظر إلى الحديث الآخر الذي يبين أن الجزاء من جنس العمل ..

قال رسول الله ﷺ : « الصيام والقرآن يشفعان في العبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب ، إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : رب ، منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفعان »(٢).

صح عن ابن مسعود أنه قال : سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، تلقاهن مَلَك فعرج بهن إلى الله عز وجل ، فلا يمر بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يُحَيَّى بهن وجه الرحمن عز وجل(٣) .

وعن كعب : أنَّ سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لهن دوي حول العرش كدوي النحل ، يُذكر بصاحبهن .

وعن كعب أيضًا قال : إن للكلام الطيب حول العرش لدويًا كدوي النحل ، يذكر بصاحبه .

والجزاء من جنس العمل .

---

(١) فيض القدير (٢/٦٣-٦٤) .

(٢) رواه أحمد ، والطبراني ، والحاكم والبيهقي عن ابن عمرو ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٧٧٦ .

(٣) مختصر العلو ص١٢٩ قال ابن القيم : إسناده صحيح ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال : « يُقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها »[١] .

والجزاء من جنس العمل .

أولياء الله تعالى .. الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ : « أولياء الله تعالى الذين إذا رُؤوا ذكر الله تعالى »[٢].

لما ذكروا الله تعالى ، وشغلوا به ، فأعطاهم فوق ما أملوا ، أن كانت مجرد رؤيتهم تذكر بالله تعالى أو حتى مجرد ذكر حديثهم .

قال المناوي :

يعني أن عليهم مِن الله سيما ظاهرة ، تذكر بذكره ، فإن رؤوا ذكر الخير برؤيتهم ، وإن حضروا حضر الذكر معهم ، وإن نطقوا بالذكر فهم يتقلبون فيه كيفما حلوا، فمن كان بين يديْ ربه وآخرته، فإنما يفتتح إذا لقيك بذكره، ومن كان أسير نفسه ودنياه فإنما يفتتح إذا لقيك بدنيا ، فكل يحدثك عما يطلع قلبه فتنبه[٣].

كان الناس إذا رأوا أيوب السختياني في السوق ، كبروا لمخايل النور التي على وجهه .

ويقول جعفر : كنت كلما قسا قلبي نظرت إلى وجه محمد بن واسع .

قال بعض السلف : صحبت في طريقي رجلًا أسود فكان إذا ذكر الله تعالى ابيض[٤] .

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال:حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني .

(٢) رواه الحكيم عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٨٤ ، والصحيحة ١٦٤٦ : ابن صاعد ، وأبو نعيم والديلمي .

(٣) قال المناوي : ظاهر صنيع المصنف أنه لا يوجد مخرجًا لأشهر من الحكيم ولا أعلى ، وهو عجب، فقد رواه البزار عن ابن عباس، ورواه عن شيخه علي بن حرب الرازي، قال الهيثمي : لم أعرفه ، وبقية رجاله وثقوا ، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن أبي وقاص ، وصححه الألباني ٢٥٨٤ .

(٤) التبصرة (٢/٣٧) .

إن لم تكن مع القوم في السحر، تلمّح آثار الحبيب عليهم وقت الضحى، ترى في صحائف الوجوه، سطور القبول بمداد الأنوار، وجوه زهاها الحسن أن تتبرقعا.

انظر إلى العجب العجاب ، إلى رجل من هؤلاء الذين أوتوا ذكْر الله عز وجل ، حتى يُذكر الله تعالى بذكرهم .

الإمام القدوة الشهيد : أبو بكر النَّابُلسِي :

قال أبو ذر الحافظ : سجنه بنو عبيد ، وصلبوه على السُّنة ، سمعت الدارقطني يذكره ويبكي ويقول : كان يقول وهو يسلخ : ﴿ **كان ذلك في الكتاب مسطورًا** ﴾ [الإسراء : ٥٨].

قال ابن الجوزي : أقام جوهر القائد لابن تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي ، وكان ينزل الأكواخ ، فقال له : بلغنا أنك قلت : إذا كان مع الرجل عشرة أسهم ، وجب أن يرمي في الروم سهمًا وفينا تسعة ، قال : ما قلت هذا ، إذْ كان معه عشرة أسهم ، وجب أن يرميكم بتسعة ، وأن يرمي العاشر فيكم أيضًا ، فإنكم غيرتم الملة ، وقتلتم الصالحين ، وادعيتم نور الألوهية ، فشهرهُ ثم ضربه ، ثم أمر يهوديًا فسلخه .

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي : أخبرني الثقة أن أبا بكر سُلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه ، فكان يذكر الله ويصبر ، حتى بلغ الصدر فرحمه السلاّخ ، فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه ، وأخبرني الثقة أنه كان إمامًا في الحديث والفقه ، صائم الدهر ، كبير الصولة عند العامة والخاصة ، ولما سُلخ كان يسمع من جسده قراءة القرآن[١] .

أخذ الأجر على تعليم القرآن :

قال رسول الله : « من أخذ على تعليم القرآن قوسًا ، قلّده الله مكانها قوسًا من نار جهنم يوم القيامة »[٢] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/١٤٨-١٤٩) .

(٢) رواه أبو نعيم ، والبيهقي عن أبي الدرداء ، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٨٥٨ ، والصحيحة ٢٥٦ .

والجزاء من جنس العمل .

قال المناوي :

أخذ بظاهره أبو حنيفة فحرّم أخذ الأجرة عليه، وخالفه الباقون قائلين: الخبر بفرض صحته منسوخ ، أو مؤول بأنه كان يحتسب التعليم . نعم ، الأولى كما قاله الغزالي الاقتداء بصاحب الشرع فلا يطلب على إفاضة العلم أجرًا ، ولا يقصد جزاء ولا شكورًا بل يعلم لله(١).

الصلاة على رسول الله ﷺ :

قال رسول الله ﷺ : « من صلى عليّ واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات ، وحطّ عنه عشر خطيئات ، ورفع له عشر درجات »(٢).

وقال ﷺ : « من صلى عليّ واحدة ، صلى الله عليه بها عشرًا »(٣) .

وقال ﷺ : « من ذُكرت عنده فليصل عليّ ، فإنه من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرًا »(٤) .

وقال ﷺ : « أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشرًا »(٥) .

وقال ﷺ : « إن لله تعالى ملكًا أعطاه سمع العباد ، فليس من أحد يصلي عليّ ألا أبلغنيها ، وإني سألت ربي أن لا يصلي عليّ عبد صلاة إلا صلى عليه عشرَ أمثالها »(٦).

---

(١) فيض القدير (٤٢/٦) .

(٢) رواه البخاري وأحمد والنسائي والحاكم عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٣٥ ، تخريج المشكاة ٩٢٥ .

(٣) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٣٤ ، انظر الضعيفة ١٩/٣ .

(٤) رواه الترمذي عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦١٢٢ .

(٥) رواه البيهقي عن أنس ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٢٢٠ والصحيحة ١٤٠٧ .

(٦) رواه الطبراني عن عمار بن ياسر ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢١٧٢، والصحيحة ١٥٣٠ ، تخ أبو الشيخ .

وقال ﷺ : « إن ملكًا أتاني فقال : إن ربك يقول لك : أما ترضى أن لا يصلي عليك أحد من أمتك ، إلا صليت عليه عشرًا ، ولا يسلم عليك إلا سلمت عليه عشرًا ؟ قلت : بلى »(١) .

وقال ﷺ : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلَّتْ عليه الشفاعة »(٢) .

وقال ﷺ : « أتاني جبريل فقال : يا محمد : أما يرضيك أن ربَّك عز وجل يقول : إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة إلا صليت عليه بها عشرًا ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك تسليمة إلا سلمت عليه عشرًا ، فقلت : بلى أي رب »(٣) .

وقال ﷺ: «من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليّ، خطىء طريق الجنة»(٤).

قال ابن القيم في جلاء الأفهام : هذا موافق للقاعدة المستقرة في الشريعة أن الجزاء من جنس العمل ، فصلاة الله على المصلي على رسوله ، جزاء لصلاته هو عليه ، ومعلوم أن صلاة العبد على رسول الله ﷺ ليست هي رحمة من العبد ؛ لتكون صلاة الله عليه من جنسها ، وإنما هي ثناء على الرسول ﷺ ، وإرادة من الله أن يعلي ذكره ، ويزيد تعظيمًا وتشريفًا ، والجزاء من جنس العمل ، فمن أثنى على رسول الله ﷺ جزاه الله من جنس عمله بأن يثني عليه ويزيد

---

(١) رواه النسائي عن أبي طلحة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢١٩٤ .

(٢) رواه أحمد ومسلم والثلاثة عن ابن عمرو ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٦ .

(٣) رواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم والضياء عن أبي طلحة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧١ . والصحيحة ٨٢٧

(٤) رواه ابن ماجة عن ابن عباس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦١٢١ ، والصحيحة ٢٣٣٧ .

تشريفه وتكريمه ، فصح ارتباط الجزاء بالعمل ، ومشاكلته له ومناسبته له .

عجبت لمن يقول : ذكرت حبي وهل أنسى فأذكر من نسيت

فذكره ﷺ ، وذكر ما جاء به ، وحمد الله تعالى على إنعامه علينا ، ومنته بإرساله هو حياة الوجود وروحه ، كما قيل :

روح المجالس ذكره وحديثه وهدًى لكل ملدَّدٍ حيران

وإذا أضل بذكره في مجلس فأولئك الأموات في الحيان

اللهم ثبت أقدامنا على الصراط ، بصلاتنا على نبيك ﷺ .

الغيرة على القرآن :

حكى المبرد عن شيخه أبي عثمان المازني أنه قصده بعض أهل الذمة ليقرأ عليه كتاب « سيبويه » وبذل له مائة دينار ، فامتنع وردّه ، فقلت له : أترد هذا القدر مع شدة فاقتك ؟ فقال : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله ، ولست أرى تمكين هذا الذميّ منها غيرة على القرآن .. فاتفق أن غنت(*) جارية بحضرة الواثق يقول العَرْجيّ :

أظلوم إن مصابكم رجلًا أهدى السلامَ تحيةً ظلمُ

فاختلف أهل مجلسه في إعراب رجل ، فمنهم من قال : هو نصب ، وجعله اسم إن ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية أصرّت على النصب ، وقالت : لقنني إياه كذلك شيخي أبو عثمان المازني ، فأمر الواثق بإحضاره إلى بين يديه ، قال : فلمّا مثلت بين يديه قال : ممن الرجل ؟ قلت : من بني مازن ، قال : أي الموازن ؟ أمازنُ تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة ؟ قلت : من مازن ربيعة ، فكلّمني بكلام قومي فقال لي : بااسمك ؟ وقومي يقلبون الميم باءً والباء ميمًا ، فكرهت أن أواجهه بلفظة مكر فقلت : بكر يا أمير المؤمنين ، ففطن لما قصدته وأعجب به فقال : ما تقول في قول الشاعر :

أظلومُ إن مصابكم رجلًا أهدى السلام تحيَّةً ظلمُ

(*) الغناء محرم .

أترفع رجلًا أم تنصبه ؟ فقلت : الوجه النصب يا أمير المؤمنين ، فقال : ولِمَ ذلك ؟ فقلت : هو بمنزلة قولك : إن ضربك زيدًا ظلمٌ ، فرجلًا مفعول مصابكم ومنصوب به ، والدليل عليه أن الكلام معلّق إلى أن تقول: «ظُلْم»، فَيَتِمّ، فاستحسنه الواثق وقال : هل لك من ولد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين بُنَيّة ، قال : فما قالت لك عند مسيرك إلينا ؟ قلت : أنشدت قول الأعشى :

أيا أبتا لا ترمْ[1] عندنا   فإنا بخير إذا لم تَرِمْ
ترانا إذا أضمرتك البلا   دُ نُجفى وتُقْطَعُ منا الرَّحِمْ

قال : فما قلت لها ؟ قال : قلت قول جرير :

ثقي بالله ليس له شريك   ومِنْ عند الخليفة بالنجاح

فقال : علي النجاح إن شاء الله ، ثم أمر لي بألف دينار ، وردّني إلى البصرة مكرمًا ، فقال أبو العباس المبرّد : فلما عاد إلى البصرة قال لي : كيف رأيت يا أبا العباس ؟ رددنا لله مائة دينار فعوّضنا الله ألفًا[2] .

والجزاء من جنس العمل .

* * *

(١) رام مكانه : فارقه .

(٢) روضة المحبين لابن قيم الجوزية ص٤٥٤– ٤٥٥ .